ثالثة..
وردة الكتابة

. حميد سعيد .

(١)

بين قوسين كُنّا معًا في الكتابة.. كُنّا
وإذْ غادر القوسُ من جهتي، فلبثتُ
وأنتِ تسلّلتِ، غادرتني، وبقيتُ وحيداً
ومنشغلاً بالوعودِ.
في ليلِ بابلَ،
شاهدتُ وجهَكِ في جُدُرِ السُّورِ.
حاولتُ أن أترضّاكِ
كي تفتحي لي طريقًا إليكِ
وأن تفسحي لي مكانًا بقربكِ.
لكنَّ حارسَكِ البابليَّ،
اليَغارُ عليْكِ ويخشى عليكِ من السحرِ.
عاقبَني.. بالبقاءِ قريبًا من السورِ.
لم يفتحِ البابَ.. حتى الغيابْ.

(٢)

شائكٌ أرَقي.. خَشِنٌ ثوبُ أغنيتي..
وثَقيلٌ هو الانتظار.
لم يَكُ الظلُّ، حيث تقيمينَ، خَصمي
وما كنتُ أسترقُ السَمعَ،
حينَ اقتربتُ من البيدرِ الذهبيِّ.
إنّ حدائقكِ الملكيَّةَ
ملأى بأخضرِ تلك الأماليد
حيثُ تَقَافزُ فاختةُ الأمس.
مُرٌّ عجينُ مسرّاتنا.. ومريرٌ هو الوقتُ
لكنّ صوتكِ أدْخلني في ضياءِ الثمارْ
وانتظرتُكِ.. قُبَّرةُ الصحوِ تُنْكرني..
وتطارد ضوئي..
وتَنقرُ وردَ النهارْ.

(٣)

رابني
أن أراكِ كما كنتِ.. قبلَ الغِناءِ..
أن لا أرى، في معلّقة الريح، عاصفتي
لا أرى في كتابكِ
ما كنتُ أَوْدعتُه من شجنٍ وحرائق بيضْ.
رابني أن تَلمَّ الحدائقُ أورادَها
وتلمِّين وردَكِ في نقطةٍ عوَّذَتْها الحروفْ.
هل أشبِّهُ وردَكِ بالوردِ، أمْ بالتهاليلِ؟!
ما زلتُ أخشى عليكِ من شائكِ الضوءِ..
من لحظةٍ.. تتقلّبُ فيها القلوب.

(٤)

آنَ للسيِّد البابليِّ أن يتفادى سماديرَهُ
ويعودَ إلى حقلِ ننماخْ..
يَدْخلهُ حيث تدنو القُطوفْ
هبَطَتْ من صياصي قيافتها.. بقميصٍ شفوفْ
فرآها.. كما كان يَرْسمها في دفاترهِ المدرسيّةِ
ثم رآها..
وقد فَتَحَ النومُ أبوابَهُ للرؤى
ورآها.. مُزنَّرةً باليعاليلِ..
ثم رآها.. محاصرةً بالأقاويلِ..
ثمَّ.. التقاها وقد نضج التوتُ قبل الأوانْ.

(٥)

مُذْ تخيَّلها.. وهي تَعْبرُ حقلَ القرنفلِ..
تَدْخل في شجر الخزفِ الأزرقِ العراقيّ..
في القبابِ

وتمدُّ أصابعَها في خيوطِ الحرير المذهَّب..
في مُتْرفِ الثيابِ..
مذ تخيَّلها.. وهي واقفةٌ بين ما بي.. وما بي
لك.. هذا احتمامُ الفُراتي.
علَّمته البكاء أمي..
وعلَّمتني الغناءْ..
ووجدتُكِ في برزخِ الوجع الجميل..
بين البكاء.. وبين الغناء.

(٦)

وطفٌ.. يُبلِّلُ ظلَّكِ الممتدّ
من أحراشِنا الأولى..
إلى شجرِ الغيابْ.
هذي زوابعُكِ البريئة، تقتفي أثَري.
أحبّكِ في الزوابع..
في الحنين إلى المرابع..
في انفتاح الماءِ.. حين يدقُّ أبوابَ المساء.
سمعتُ باسمكِ في أقاويلِ الرياحِ..
وكنتُ أبحثُ عنكِ في كتبِ العواصفِ..
في المصاحفِ.
أنتِ تاجُ العارفين.. وأنتِ مُعجزةُ اليقين..
وأنتِ.. أنتِ..

(٧)

سينٌ.. أُخبِّئُ فيهِ..
ما أُعطيتُ من شمسِ الكتابةِ..
أو ظِلالِ القولِ.
أنتِ قصيدتي الأُولى.
انتظرتُكِ في صقيعِ النوم
في جمرِ العواصفِ..
وانتظرتُكِ في مقامِ الليلِ..
أسألُ:
هل أخونُكِ حين أبحثُ عنكِ؟!
أنتِ وقارُ ذاكرتي.. وأنتِ جنونُها.
ماذا سيبقى في حدائقِ صمتنا الفضيِّ..
ماذا.. بعد أن رَحلَ الكلامْ؟

(٨)

أغْلقتُ بابي واستعنتُ بزائري: الوهمِ الجميلِ
وقلتُ ماذا لو تكون معي؟ وقلتُ.. تكونُ
لكنّي سأكْذب كذبةً سوداءَ..
حتى لا أغار.. ولا أُثار..
وأدّعي ما لم يكن بيني.. وبين قصيدتي
وأقولُ:
أشواكِ الكآبة من قبيلِ القولِ..
أزجرها وأشْكوها إليها.. أو أشكُّ
معًا.. تُطَهِّرنا مياهُ المُزْنِ.. من أخطائنا الأولى
ومن أحلامنا الأولى.. ومن حَسَكِ الفُضولْ.

(٩)

صفوُ الحضور يُحيل أيّامي إلى كدرِ الأفولْ.
أوَكنتَ يا قمرَ الفضاءاتِ السَخيَّة
تستعيدُ فضاءكَ الممتدَّ من صخبٍ إلى صخبٍ،
وتَهْرب من نهاراتٍ مراوغةٍ إلى ليلٍ وَقورْ؟
بيني وبين صفاء أيامي سحابٌ مُعتِمٌ،
أتذكَّرُ المطرَ الأليفَ..

مبلّلاً.. أرنو إلى صمتٍ بتولْ.

وجدتُ في غلواءِ أسئلتي..

غلواً، بي إليكَ..

وفيكَ.

أَدْخلُ في فراديس اليقينْ

أَوْلى بهذا السيِّدِ الآتي من الفلواتِ..

أن يتعلَّم النسيانَ.

كنتِ بعيدةً فأقمتِ في أقليم أسئلتي.

اقتربتِ.. فكنتِ جوهرها.

أغامرُ..

أذ أُفرِّقُ بين أسئلةِ اقترابكِ وابتعادكِ..

بين شَمْسكِ والأفولْ.

إذاً أقول:

غداً أخطُّ رسالتي الأولى إليها..

ثم أمحو.. ما كتبنا من قراءاتِ الغوايةِ..

في متاهات الفصولْ.

وعناكب سودَ تغادرُ، ليس من شبحٍ

يزاحمني..

يشاركني مكاني.

(١٢)

حاورتُ فِضَّتها، فأسكتني النحاسُ.

كان النُعاسُ

بيتاً..

أُقيم به وأَفتح كلَّ بابٍ فيه.. قلتُ تَجيءُ..

من أرقٍ أليفٍ.. من قُرى بيضٍ..

وتدخلُ غابَ أسئلتي.. وتَظْهرُ في الثمارْ

وقلتُ جاءت.. إنّها ما كانَ من حُرَقِ

الوعودِ..

وما يكون من الوعود..

معي تكون.. وإذ نكونُ معاً..

أكون..

بغداد

(١١)

لي في فضاءات الكتابةِ.. ما كتبنا قبلَ أن ننسى.

ولي في صفحة النسيان.. آخرُ ما كتبت إليكِ..

كلُّ كتابة، كانت إليكِ.

كتبتُ في الوهم السَريِّ.. وفي مسرات المعاني.

لا تسألي

عما أخبِّئُ في أناشيدي،

فذلك طيلساني.

ما كان قَبْلَكِ.. محضُ ثرثرةٍ.. فكنتِ..

الثلج يرحلُ عن لساني..